

تحديات ومواقف من حياة مولود قاسم (القسم الثاني)

أ. محمد فارح*

نماذج من أحاديث صحفية أجريتها معه

ولقد سبق لي أن أجريت أحاديث صحفية مع المرحوم مولود قاسم، ونشرتها في جريدة "الشعب" ثم أعاد نشرها في مجلة الصالة، ومنها حديثان أحدهما سنة 1975، وثانيهما سنة 1976، وارتأيت في هذا الملتقى : "أي ملتقى مولود قاسم"، أن أقدم نماذج من تلك الأحاديث، وهذا نصها :

الأصالة ليست التفوق ولا التفرع¹ !

السؤال : هل مكن طول الاستعداد من تذليل الصعوبات والتغلب عليها، وتلبية طلبات الراغبين والراغبات في المشاركة .

*. عضو المجلس الإسلامي الأعلى.

1. استجواب نشر بجريدة الشعب عدد 3601 بتاريخ 10 جويلية 1975م، قبيل الملتقى التاسع للفكر الإسلامي في تلمسان.

الجواب : نستطيع أن نقول أن الظروف المادية التي ينعقد فيها الملتقى التاسع للفكر الإسلامي بتلمسان حسنة إلى حد كبير، وإن لم تكن كما نود، وكما تقتضيه ظروف الملتقى، وتنحصر هذه النقطة فيما يسمى بهياكل الاستضافة، التي هي : الفنادق للأساتذة، والثانويات الداخلية للطلبة، وقاعة المحاضرات للجميع.

فإذا كانت الثانويات الداخلية متوفرة، والحمد لله، في تلمسان، ولا تخلق صعوبة إطلاقا، فإن العنصرين الآخرين، وهما الفنادق للأساتذة، وقاعة المحاضرات للجميع، يمكن اعتبارهما دون طموحنا. وحتى مشكل الفندق حل إلى حد كبير، لأن فندق الزينيين الجديد على وشك الإنجاز النهائي، وسيأوي عددا كبيرا من الأساتذة، وكنا نأمل أن يتم كله لنسكن فيه الجميع، مثلما فعلنا بمناسبة الملتقى الثامن في بجاية، إذ يسمح جمعهم في مقر واحد بزيادة التعارف، وباستمرار العمل حتى بعد العشاء، وخارج أوقات العمل أيضا. وعدم إتمامه هذه السنة قد حرمنا من عنصر هام يتمثل في الأساتذة المستشرقين من أوروبا وأمريكا وأستراليا الذين لم يتمكن من دعوتهم هذه السنة، كما فعلنا في السنة الماضية في بجاية، وسنة 1972 بالعاصمة، بل ولم نستطع حتى إرضاء رغبات ملحة من بعض هؤلاء الأساتذة والباحثين في إسبانيا، تلك الرغبات التي عبروا عنها بالطرق الرسمية أو مباشرة، وبعضهم في القمة، والمواضيع التي عرضوها علينا على أقصى الأهمية، وفي صميم جدول الأعمال، وبالعربية. وهذا المشكل نفسه نجده قائما في وجه المشاركة الواسعة من الطلبة، حيث تقدم أكثر من ستة

آلاف طالب وطالبة من داخل البلاد وخارجها، من أستراليا حتى السويد وفلندا، بينما أكبر قاعة في المدينة لا تتسع لأكثر من ألف مقعد، وقد ضغطنا كل الضغط على ثانوية مالكة حميدو، بالتعاون مع إدارتها، لرفع هذا العدد إلى خمسمائة وألف مقعد "1500"، وهذا العدد يمثل أقل من ربع الطلبات.

ومن هنا فإن الوقت الطويل الذي استغرقه الإعداد، إذا كان قد أفاد في أشياء كثيرة، فإنه لم يفد في النقطة الجوهرية المتمثلة في قاعة الاجتماعات والفندق. وكان المفروض أن انعقد هذا الملتقى في الربيع، حسبما قررناه وبدأنا تطبيقه في السنة الماضية. ولكن رغم هذا كله، هناك جانب إيجابي في هذا التأخير إلى الصيف، وهو تمكين عدد كبير من الطلبة الجامعيين من المشاركة التي حرموا منها في ملتقى "الناصرية" الذي انعقد في الربيع، أي في فصل لا يتمتع فيه الطلبة الجامعيون بالعطلة التي هي من نصيب الثانويين وحدهم.

السؤال : ولما كان الإقبال على الملتقى يتزايد باستمرار، ألم يدفعكم ذلك إلى التفكير في تعيين مقر دائم من شأنه أن يستجيب لطلبات جميع الراغبين والراغبات الذين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة ؟...

الجواب : نعم، قد يكون هذا المقر بالعاصمة في قصر الرياضة مثلا، ولكن اتخاذ هذا القرار سيؤدي إلى حرمان المدن الأخرى من البلاد في احتضان هذا الملتقى، في وقت نلاحظ فيه تنافسا واسعا وإلحاحا كبيرا

على انعقاده بربوعها، ونحن نرى أنه، وإن كان لهذا الملتقى امتداد إلى الداخل وحتى إلى الخارج، بفضل أجهزة الإعلام وكتاب الملتقى الذي يحتوي على كل ما يدور فيه من محاضرات ومناقشات، إلا أن عقده في هذه المدينة أو في تلك يترك فيها -لا شك- أثرا أعمق مما يتركه في غيرها. ثم إن هذا الأسلوب المتبع يدخل أيضا في إطار التوازن الجهوي، ويندرج في سياسة اللامركزية، وقد أعلننا هذا في آخر الملتقى السادس سنة 92 هـ - 72م، وعملا بذلك نقلنا الملتقى إلى تيزي وزو سنة 1393 هـ - 73م، ثم إلى بجاية سنة 94 هـ - 74م، ثم إلى تلمسان هذه السنة 1975. وهكذا ينعقد الملتقى كل سنة في مدينة أخرى تتوفر فيها هياكل الاستضافة والطابع التاريخي إن وجد...

السؤال : تطرح، من حين إلى آخر، أسئلة وتساؤلات عن المقاييس التي تراعوها في اختيار الشبان المشاركين، والأساتذة المدعويين، وسبق لي أن أثرت موضوعها معكم عقب الملتقى السابع، وبما أنها ما تزال مطروحة. فهلاً تفضلون بإعادة توضيحها مرة أخرى ؟

الجواب : في الواقع إن المقاييس التي نراعيها في اختيار الطلبة تنحصر في اعتبارين : ألا المستوى الثقافي الذي ينبغي أن يكون جامعيًا، أو على الأقل في السنتين النهائيتين من الثانوي، وهذا المستوى نفسه هو الذي يشترط فيمن يترشحون للمشاركة من غير الطلبة، كالمعلمين والموظفين وغيرهم، والشرط الثاني هو تقديم طلب المشاركة في الأجل المحدد، والمعلن

عن طريق أجهزة الإعلام بخمسة أو ستة أشهر مقدما. هذان المقياسان مشرطان في الطلبة ومن في حكمهم. أما بالنسبة للأساتذة فهذه المقاييس لا تقل وضوحا، وهي تنحصر في شيئين : وهو أن يكون الأستاذ المحاضر جامعا، متخصصا أو بحاثة له تأليف أو كتابات في الموضوع هذان هما الشرطان الوحيدان اللذان نراعيهما، وعندما يتوفران في الأستاذ، فلا نسأل عن دينه ولا عن إيديولوجيته، ولا عن جنسيته أو جنسه، حيث دعونا محاضرين ومحاضرات من المذاهب الإسلامية الثمانية المعروفة وهي : المالكي، والحنفي، والشافعي، والحنبلي، والشيوعي، والإباضي، والزيدي، والظاهري، ومن القارات الخمس، من مختلف الأجناس، والديانات، والإيديولوجيات، واللغات، ذكورا وإناثا، أصدقاء كانوا أو غيرهم. لأننا نرى أن ضمان نضج طلبتنا، ونشئنا عموما، يكون بتحسينهم على أساس مقوماتنا، وأصالتنا، وأيضا بإعطائهم فرص المقارنة والاستنتاج بأنفسهم .

السؤال : ألاحظ على نقط جدول أعمال الملتقى التاسع الازدحام والدسامة، يعجز الوقت المخصص للملتقى عن استيعابها والتعمق فيها، فما هي الاعتبارات التي اعتمدتموها في ضبط جدول الأعمال ؟ ألم يكن من الأفضل التركيز على نقطة معينة ليتمكن استقصاؤها من كل جوانبها ؟

الجواب : تنوع الموضوعات في كل ملتقى بقصد، لأسباب أولها : مراعاة الطلبة الذين ليست لهم اهتمامات واحدة، فلو طرحنا للنقاش الجانب الثقافي الحضاري الصرف فقط، لما اهتم الأجانب، ولكان الملتقى،

بالإضافة إلى ذلك، ينقصه بعدٌ هام، هو الجانب الروحي الأخلاقي، ولو طرحنا المواضيع الدينية والأخلاقية فقط، لفقد البعد الثقافي، ولما أدى الملتقى دوره كاملاً. ونفس الشيء يقال بالنسبة للأساتذة المحاضرين والمعقبين الذين نختارهم من ذوي الاختصاصات المختلفة، وبل وحتى للجمهور الذي تصله أجهزة الإعلام بهذا الملتقى والكتاب، بحيث تلاحظون أننا ندرج دائماً إلى جانب المواضيع التاريخية، والحضارية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية عموماً، مواضيع دينية، وأخلاقية، ليحصل التكامل، وليتوفر عنصراً المادة والروح اللذان يتكون منهما الإنسان، وقد عنون أحد الكتاب الروس المعاصرين كتاباً له بالعنوان التالي : "الإنسان لا يحيا بالخبز فقط" أي يعيش به ولكن لا يحيا.

ثم إن طبيعة جميع الندوات والملتقيات، بل وحتى المؤتمرات، لا تسفر أبداً عن استقصاء نقاط جدول الأعمال، بل هي، في أغلب الأحيان، تثير المواضيع وتطرحها للنقاش، وتهيئ لها الأفكار على أن تنضج في مرحلة تالية لها. ولا شك أنكم تعلمون أنه حتى القرارات التي يتخذها رؤساء الدول في مؤتمرات كبرى، وحتى في هيئة الأمم، لا تستقضي كل المواضيع، ولا تحل المشاكل جذرياً وإنما تخلق ما يسمى بالجو، وتترك الأفكار تتابع سيرها.

السؤال : أعتقد أن مقصد الشريعة الإسلامية من الحج، ومن الطريقة التي يؤدي بها، واضح، فلماذا أدرجتموه في جدول الأعمال ؟

الجواب : أرى أن مقصد الشريعة الإسلامية من الحج غير واضح إطلاقاً، لا في أذهان العامة فقط، بل حتى في تصورات أغلب المختصين. ودليلي على ذلك، هو أيضاً دليل بعض من تحدثنا معهم في الموضوع. أثناء حج هذه السنة وبعده يتمثل بالضبط في الطريقة التي يؤدي بها هذا الحج حالياً، من فوضى عارمة، ومنافاة لمقاصد الشريعة السمحة، كما تبدو لنا. وأكتفي بمثالين اثنين أوردهما بغاية الاختصار : الأول هو أن الحج أكبر مؤتمر إسلامي فعلاً، ولكن فلنتساءل، كما تساءل الأستاذ علي الطنطاوي في حصص متتابعة عن الحج في الإذاعة السعودية هذه السنة أي سنة 1975 : "الحج أكبر مؤتمر، ولكن هل تتوفر في أغلب الحجاج شروط المؤتمرين؟" هل يتباحثون فعلاً، ويتشاورون، ويتبادلون المعارف والتجارب ؟ أم يتبادلون السباب والشتم، والضرب بالمناكب والمرافق، والركل بالأرجل، مما يؤدي إلى كثير من الحالات في الموت ؟!

والمثال الثاني هو موضع الهدى، المقصود به أصلاً إفادة المساكين والفقراء عموماً، يوم أن كان عدد المتصدقين أقل من عدد المحتاجين حول منى والكعبة المشرفة. أما وقد انعكس الوضع اليوم، إذ قارب عدد الحجاج، هذه السنة مثلاً المليون والنصف، بينما عدد الفقراء والمساكين في هذه الأماكن لا يمكن يذكر بالمقياس إلى عدد الحجاج، وتترك الآلاف بل مئات الآلاف من الحيوانات المذبوحة للشمس والرمل وتتعفن، وتذهب أموال الأمة الإسلامية هدراً، فنحن نرى أن هذا لم يعد يوافق

مقصد الشريعة. بل بالعكس أصبح هذا ينافي مقصد الشريعة من الهدي "الذبح"، ويضر بالإسلام والمسلمين. وحيث إن وسائل المواصلات تتحسن باطراد وتنوع، وإمكانات المسلمين في تزايد ونمو، فيبدو لكل ذي عينين أن عدد الحجاج سيزداد، وهذا الضرر سيزداد معه، والقاعدة الأصولية تقول : إن دفع المضار يقدم على جلب المنافع، وقاعدة أصولية أخرى تقول : إن المعلول يدور مع العلة وجودا وعدما، وبما أن هذا اللحم لم يعد يؤدي الهدف المقصود منه بل يضر، كما قلنا، فإن في تركه للرمل، ليتعفن ويفسد، فسادا لأموال الأمة، والله لا يحب الفساد. وهذا الذبح، الذي هو المعلول وفقا للقاعدة الأصولية، لم يعد غير ذي موضوع فقط أي لم يعد يسد حاجة الفقراء التي هي العلة حسب القاعدة نفسها. وحيث إن المعلول، الذي هو الذبح في هذه الحالة، يدور مع العلة التي هي حاجة الفقراء وجودا وعدما، وحيث لم تعد هناك حاجة فلم يبق هناك داعي للذبح. ومن هنا نادينا بدفع قيمة الهدي "الذبح" نقدا، ووافقت لجنة الفتوى عندنا بأغلبية الأصوات على جواز دفع قيمة الهدي نقدا. بل ورأى بعض أعضاء هذه اللجنة تفضيل دفع النقد على الذبح، واعتبره واجبا، لأن هذا الهدي لم يعد يؤدي الهدف، أو بعبارة أصولية لم يعد يوافق مقصد الشريعة، فهو يفرغه من معناه، ولا يصبح فقط غير ذي جدوى، بل يصبح سلبيا ومضرا، ويفرغ هذه الشعيرة من مغزاها. والعبرة في هذا بمصلحة الأمة، ومصلحة الأمة تقتضي استثمار هذه الأموال فيما يفيدها لا فيما يضرها.

السؤال : لما كان الهدف الأساسي من الملتقى توعية الشباب بالفكر الإسلامي النقي وفتح ذهنه على ما يتطلبه روح العصر، فلماذا لا ينظم على هامشه معرض للكتاب الإسلامي، وتعرض أثناءه أفلام وثائقية عن الحضارة الإسلامية ؟

الجواب : لإجابة عن هذا السؤال، أود أن أذكر بما أشرتُم إليه منذ لحظة من دسامة البرنامج، وأقول : إنه زيادة عن المحاضرات والمناقشات التي يتضمنها البرنامج اليومي في قاعة الملتقى، تنظم محاضرات ومناقشات أخرى إضافية في الليل بعد العشاء في مقر الطلبة والطالبات، كما تنظم زيارات ورحلات دراسية للآثار التاريخية، والمنجزات الحديثة، والمناظر الطبيعية، وحفلات موسيقية، مما لا يكاد يترك لحظة يتنفس فيها الطلبة، أو يتفرغون فيها لمعارض قد لا تسمح بها بعض القاعات التي تنظم فيها هذه الملتقيات.

على أننا قررنا هذه السنة، زيادة على عرض بعض اللوحات التاريخية، كما فعلنا في الملتقيات الأخيرة - أن ننظم في المرة الأولى شبه رواق لبيع بعض مطبوعات الوزارة، استجابة لرغبات عبر عنها الكثير، وهذا كله لا يمنع من تنظيم هذه المعارض التي أشرتُم إليها في الأماكن التي تتسع لذلك. وقد دعونا إلى ذلك غيرنا.

السؤال : سبق للملتقيات الفكرية أن أسفرت عن توصيات هامة، فهل وجدت تلك التوصيات أو بعضها طريقها إلى التنفيذ ؟ وإذا لم يكن كذلك فلماذا ؟

الجواب : ذكرنا آنفا أنه، إذا كانت المؤتمرات الكبرى التي يعقدها رؤساء الدول لا تحل المشكلات دائماً، بل وقليلاً جداً ما تفعل، فأحرى وأولى بمثل هذه الملتقيات التي تعقد، لا بين مسؤولين ذوي السلطة التنفيذية، ولكن بين أساتذة جامعيين وطلبة، للبحث والمناقشة والحوار، من أجل الحث على الاطلاع، والتفكير، والمقارنة، والاستنتاج، ثم لتهيئة الأفكار لأعمال تتلوها. ونستطيع بكل تواضع أن نقول : إن بعض توصيات ملتقيات الفكر الإسلامي قد كان لها صداها ومفعولها هنا وهناك، واكتفى بمثال واحد، هي توصية الملتقى الخامس سنة 91هـ - 71م في وهران، بضرورة تعريب الجامعات في العالم العربي. وقد أثرت ونوقشت هذه التوصية في بعض البلدان الشرقية الشقيقة، وعمل من أجلها الأستاذ الدكتور عثمان أمين بعد رجوعه إلى مصر، حيث هو عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وآخرون في سوريا وغيرها، وبدأت فعلاً بعض الجامعات في بلدان عربية، في المشرق والمغرب، بتعريب تعليمها بعد أن كانت تدرس بهذه اللغة أو بتلك من اللغات الأجنبية. وقل الشيء نفسه عن الاهتمام بإعادة كتابة تاريخنا، الذي كان إحدى نقاط الملتقى السادس 92هـ - 72م في الجزائر، والذي تناولته بعد ذلك مؤتمرات وندوات واجتماعات شعبية ورسمية، هنا وهناك في العالم العربي، وبدأنا فعلاً نرى نتائج هذا الاهتمام.

فأهمية الملتقى إذن تكمن في إثارة المواضيع، والحث على التفكير والمطالعة، وتهيئة الأفكار والجو، وهي كلها الشروط الضرورية لكل عمل يراد له النجاح.

السؤال : أوصى الملتقى السابع، في تيزي وزو، بإنشاء منظمة إسلامية رسمية، تشارك فيها كل الدول الإسلامية لترعى شؤون الجاليات الإسلامية روحيا وتربويا، فهل شرع في إنشاء هذه المنظمة ؟

الجواب : ما قلناه منذ لحظة ينطبق على هذه النقطة أيضا التي لم ننفك نظرقها في الواقع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة منذ الرابع سنة 90هـ - 70م في قسنطينة، كما تستطيعون أن تتأكدوا من ذلك في محاضرات ومناقشات وتوصيات عرفتتها هذه الملتقيات. وفيما يخص الجزائر بالذات، فقد أنشأت فعلا ديوانا ثقافيا لشؤون المغتربين الجزائريين في أوروبا، ومفتشية دائمة للتعليم الأصلي والشؤون الدينية في باريس. أما عن إنشاء منظمة على مستوى العالم الإسلامي، فهناك أفكار، وهناك هيئة وإعداد، ونرجو أن يتمخض كل هذا عن قيام هذه المنظمة.

السؤال : هل للفنون الجميلة، أم المثل الرفيعة، كما سماها العرب القدماء، دور أخلاقي ؟ وما المقصود بجعلها نقطة بارزة في جدول أعمال الملتقى ؟

الجواب : هذه النقطة الرابعة من نقاط جدول أعمال هذا الملتقى، كما تعلمونه، وهي نقطة هامة جدا في نظرنا. فبينما لا يرى البعض في الموسيقى والرسم والنحت وغيرها من الفنون إلا دعوة لتربية اللحي وإسدال الشعور، والقذارة في كثير من الأحيان، وتقصير الثياب وتضييقها، والتحلل من كل القيم والمبادئ، باسم الفنون والفنانين، نرى

أن هذه بالنسبة لآخرين، في الشرق والغرب، لا تدعو إلى هذه الأوباء التي أشرنا عليها، وليست غاية في ذاتها، كما يرى دعاة "الفن للفن"، بل هي وسيلة ناجعة فعالة للدفاع عن قيم أمة وتعزيز أصالتها، وإبراز شخصيتها والتعبير عن آمالها وآلامها، وحفزها نحو الأمام. هكذا فعل بيكاسو برسومه، وهكذا فعل الخمسة الروس في القرن الماضي، وهكذا فعل سميطانا ودفورجاك، وهكذا فعل سييليوس في فنلندا، وغريغ في النرويج، وهكذا فعل بيتهوفن في ألمانيا، وهكذا فعل فيلالوبوس في البرازيل، وهكذا فعل يونسكو في رومانيا، وآخرون عديدون. هؤلاء كلهم خلّدوا برسمهم وموسيقاهم تاريخ أممهم، ورفعوا معنوياتها في أحلك الظروف، بل وكثيرا ما نجد أمة تستعمل موسيقى فنان، من غير أبنائها، لرفع معنوياتها واستمداد القوة منها، كما فعل الروس في ستلينغراد في الحرب العالمية الثانية، إذ ظلت فرقتها الفيلهارموزية تعزف بالاستمرار السمفونية التاسعة الخالدة لبيتهوفن الألماني، والجيوش الألمانية محيطة بجدرانها، منقضة عليها، مهددة بخنقها. وهذا ما قصدنا بعرض هذه النقطة للنقاش في هذا الملتقى. لأننا نرى أن هذه الفنون كلها سلاح ذو حدين، أو من الأضداد، كما يقول العرب، فيستعملها الإنسان للغرض الذي يريد منها، فإما لتقوية أمتة وتعزيز قيمها وتحصينها، أو لتذويها وتخنيثها وتآنيثها، وبث الانحلال فيها والتعجيل بانحيارها.

السؤال : ما مفهوم الفكر الإسلامي في نظركم ؟ وما المظاهر التي يتجسد فيها ؟ وهل هناك فرق أو فروق بين الفكر والإيديولوجيا ؟

الجواب : مفهوم الفكر في نظرنا، كما هو مفهومه لدى غيرنا، هو مجموع النتاج العقلي والروحي والحضاري لأمة من الأمم، وفي هذه الحال بالذات لأمة إسلامية، ومن دين، وأخلاق، وفلسفة، وحضارة، لأن الفكر من التفكير الذي به الإنسان إنسان، وبالفكر الإسلامي يكون الإنسان مفكرا إسلاميا، أما المظاهر التي يتجسد فيها فهي مسيرته العقلية، وسلوكه الأخلاقي، وتصرفه كمواطن مسلم وكإنسان في حياته اليومية والقومية. ولا أرى هناك أي فرق بين الفكر والإيديولوجية وإذا كان هناك فرق فهو في اللفظ والتركيب : فكلمة الفكر كلمة عربية بسيطة، بينما الإيديولوجية اسم يوناني مركب من كلمتين يونانيتين هما : الإيدو : وهي الفكرة، ولوجيا : وهي العلم أي علم الفكرة، ومن هنا يترجمها الدكتور الحبابي : الفكرولوجيا، كلمة هجينة عربية يونانية.

السؤال : حين يتأمل الإنسان وضعية الشباب الجزائري بصفة خاصة، وشباب العالم الإسلامي بصفة عامة، يجده يعاني أزمة فراغ إيديولوجي من جهة، وتجاهه أزمة استيعاب الفكر الإسلامي من جهة أخرى. فهل يستطيع الملتقى ملء جزء من الفراغ بدفع الشباب إلى استيعاب الفكر الإسلامي وقضاياها ؟

الجواب : أزمة الشباب اليوم أزمة عالمية، وقد لا توجد في بلد مثل الصين الشعبية وكوريا الديمقراطية فقط. وفعلا لم نلاحظ مظاهر لها في هذين البلدين المذكورين في أثناء زيارتنا القصيرة لهما في ربيع السنة

الماضية. أما بقية العالم، من أوروبا بكاملها، وأمريكا، وأستراليا، بدون أن ننسى ذلك العالم المسكين الذي يسمونه بالعالم الثالث، وأو الثلث الخالي، كما سماه بعض المفكرين الجزائريين المناضلين بحق، والمفكرين بحق أيضا!¹

نحن نرى أنه إذا كان الشباب في السويد أو كندا يسمح لنفسه بهذا الترف أو هذا البذخ أو الانحراف أو الخروج عن الجادة، لأنه وصل إلى قمة التقدم، وليست له أية مشاكل كمكافحة الأمية، أو تحقيق التنمية، أو استرجاع الإنية، فإن شباب العالم الثالث لديه كل هذه المشاكل وغيرها، وعليه أن لا يرقص على ألحان أي مزمر أو يقلد كل ناعق، بل عليه أن يبقى على أديم بلاده ثابت القدمين، وأن يستفيد من تجارب العالم فيأخذ من الناجحة ويتحاشى الفاشلة، ويضرب صفحا عن كل بريق ولمعان. وإذا كان الشباب الإسلامي يعاني اليوم أزمة فراغ عقائدي، ويتنكر في كثير من الأحيان للفكر الإسلامي، فإنما ذلك لأنه لم يهضم بعض المستوردات، ولم يتلق نتائج فكر أمتة وتلقاه مشوها ممسوخا ناقصا، وجاهل الشيء عدوه، كما يقال.

ومن هنا نحاول بهذه الملتقيات، في حدود جد متواضعة تكاد تكون ذرية، فنعطيه فكره وفكر غيره ونجعله في وضع المقارنة والاستنتاج بنفسه، ونتركه بعد ذلك على مسؤوليته، ونرى أن ذلك أحسن الطرق لتحصيله وتوعيته بمسؤوليته.

1. هو الدكتور محمد الأمين دباغين، وزير الخارجية الأول في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

السؤال : هناك كثير يخلطون بين الإسلام والمنتسبين إليه، فيحكمون عليه وعلى مبادئه، من خلال تصرفات المسلمين وأوضاعهم. فما هي الوسائل الإيجابية لتصحيح هذا الخطأ في رأيكم ؟

الجواب : فعلا هذا الخطأ شائع حتى عند المتعلمين، بل وحتى عند بعض المثقفين، أو من يسمون كذلك. ولكن ينبغي للإنسان أن يعترف أنه مهما يكن متعللا رزينا، بل عالما، كثيرا ما يترلق إلى هذا الحكم المتسرع والمتشائم إلى أبعد حدود التشاؤم. وفي هذا تحضري -والعهدة على الراوي كما يقال- كلمة للعالم الكبير الدكتور عبد الكريم يوليوس جرمانوس، المتشرق المجري المسلم المعروف، وهو الآن فوق التسعين، أنه لما أدى أول مرة فريضة الحج، وهو في الأربعين، وكان قد أسلم منذ قليل، قال بعدما رجع من الحج، وشاهد هناك من تراحم وفوضى، رغم قلة عدد الحجاج إذ ذاك نسبيا : "الحمد لله أن عرفت الإسلام قبل المسلمين" أي أنه عرف الإسلام في الكتب قبل أن يلتقي بالمسلمين، ولو التقى بهم قبل أن يسلم لما أسلم!

والإجابة الإيجابية التي تبدو لنا لتصحيح التسرع في الحكم والخلط بين الإسلام والمسلمين، هي أن الإسلام مثل أعلى يصبو الإنسان لإدراكه، والإنسان بشر، مهما سما وارتقى لا يدرك المثل الأعلى للإسلام، وإنما يقترب منه. وإذا ما أدركنا هذه الحقيقة، عملنا على تعريف المسلمين بحقيقة الإسلام، وحررنا أذهانهم من الرواسب الكامنة في أعماقهم، من

جاء قرون طويلة منذ الحروب الصليبية التي تأخذ اليوم الشكل الإيديولوجي بمختلف الألوان، واللوينات، نكون قد قمنا بقسطنا في تمكين المسلمين وغير المسلمين من التمييز بين رسالة إلهية ترمي إلى ارتفاع بالإنسان من الحيوانية البهيمية إلى الإنسانية الرشيدة، والسلوك اليومي لهذا الإنسان المتأرجح بين الملك والحيوان، وجنبناهم الحكم على الإسلام من خلال من يدعون مسلمين.

السؤال : هناك أناس متعلمون يقولون إن الإسلام كان ثورة روحية واجتماعية في زمانه، أما الآن فإنه غير قادر على الاستجابة التامة للقضايا الاجتماعية والاقتصادية والعلمية المطروحة على الإنسان المعاصر اليوم. فما موقفكم من هذا السؤال ؟

الجواب : هؤلاء الناس المتعلمون - كما قلتم بحق- في الواقع موهون للحقيقة، ليس بالضرورة عن جهل منهم، ولكنهم متجاهلون لحقائق وبديهيات لا تحتاج إلى كثير من العلم لإدراكها، ولكنها تحتاج إلى كثير من الإخلاص للاعتراف بها.

فالإسلام الذي ابتدع أحسن النظم الاقتصادية والاجتماعية، جعل طلب العلم فريضة كسائر الفرائض السماوية، وجعل حبر العلماء مساويا لدم الشهداء، وجعل دية الذي يموت جوعا في عنق الأمة كلها، وكان النبراس المنقذ للبشرية من ظلماتها، والمنطلق لما هو عليه العالم المتقدم اليوم في أحسن جوانبه، يستطيع أن يجدد اليوم كل ذلك، إذا ما تجدد

المسلمون، ويستطيع أن يرجع إليهم عزهم وتماسكهم، إذا ما اعتزوا واستمسكوا به، وما كان بالأمس ممكنا فهو اليوم أسهل.

السؤال : يطرح بعض المفكرين الأجانب والمسلمين موضوع التجديد الإسلامي، ويحاولون خلق اتجاهات إسلامية متعددة متعاكسة. فماذا تقولون في ذلك ؟

الجواب : الإسلام صالح لكل زمان ومكان، بفضل الاجتهاد الذي يراعي مصلحة الأمة. هو صالح اليوم وغدا لأن يستوحي منه البشر نواميسه، ويسيروا على هديه في سلوكهم اليومي والقومي. أما الاتجاهات المتعددة المتعاكسة فهي من طبع البشر، والاختلافات موجودة في جميع الأديان، وعلى المسلمين أن يجددوا أنفسهم بأنفسهم، في ضوء تعاليمهم، وأصالتهم، وتجاربهم الخاصة بهم، وأن يستفيدوا كما ذكرنا أنفا من تجارب الغير، على أن لا يسمحوا لغيرهم بأن يملئ عليهم خطة سيرهم، مهما تكن النيات والتعليلات.

السؤال : كتبتم وتحدثتم عن الإنية والأصالة، وفسر بعض المتطاولين الإنية بالأنانية، والأصالة بالجمود والتقوقع. فما هو مفهوم الاصطلاحين لديكم ؟ وكيف تفسرون موقف هؤلاء ؟

الجواب : أولا كلمة الإنية ليست من عندي، وإنما هي من فيلسوف اسمه الشيخ الرئيس أو علي بن سينا، الذي استعملها في كثير من كتبه، وخاصة في كتابه الكبير "الإشارات والتنبيهات"، عندما أراد أن يتكلم عن

وجود النفس وخلودها، متميزة عن الجسم مستقلة عنه، قال ليصور الوعي بالذات واستقلال النفس عن الجسم : تستطيع أن تتصور نفسك كاملاً معلقاً في الهواء بين السماء والأرض، فإذا بك منعدم الوجود من ناحية الجسم، وتحس أنه لا يكاد يكون لك وجود بين عالمين عملاقين، وأنت ذرة وكريشة في مهب الرياح، وإذا كل ما يبقى لك في تلك اللحظة الحرجة الفاصلة هو شعورك بكيانك ووجودك، رغم هذا الضياع الجسمي إذ ذاك، تشعر بإنيتك وتقول إني، وإنيتك تلك المتميزة، وشعورك الحاد ذلك، هو وجودك الحقيقي. هذا معنى الإنية عند ابن سينا. ويقول كثير من الفلاسفة ومؤرخي الفلسفة : إن إنية ابن سينا هذه هي أصل ومنشأ ذلك الكوجيتو الديكارتي المعروف الذي يقول فيه صاحب الحديث في المنهج : عندما أضرب صفحاً عن وجودي المادي أي الجسمي، وتصور العالم كله منعدمًا، لن يبقى لي إذ ذاك إلا ذلك الوعي الحاد أو التفكير فأقول : أفكر، فأنا إذن موجود، فيصبح ذلك الوعي بوجودي هو الوجود ذاته. ومن هنا نرى أن الإنية ليست لها علاقة بالأنانية، بل هي شعور سام لدى الإنسان بوجوده كإنسان وبتميزه عن الغير، وليست لها أية علاقة بالأنانية التي هي من أبغض الانفعالات والدوافع الإنسانية.

أما الأصالة، فما يدل عليه اسمها هو أنها شعور الإنسان أو اقتناعه العميق بانتسابه إلى مجموعة بشرية هي أمته، وإلى أدم هي بلاده، وتشبعه

بتصورات ومفاهيم وأفكار انحدرت إليه من الأسلاف في أعماق التاريخ، ويبلغها إلى الأجيال على مرّ الزمن، ويكون هو، على مستواه، حلقة أو حلقة في تلك السلسلة المحكمة الحلقات التي بانفصام حلقة منها ينتثر العقد ويمحي الوجود. وهذه الأصالة إذ تفرض على الإنسان أن يكون هو، هو، غير مجتث الأصول، بل يضرب بجذوره في الأعماق، تستلزم في الوقت نفسه خلق سياج، والمشاركة في الوجود، وأخذ حظه كاملا من الضوء والأوكسجين اللذين هما أكسير الحياة، أي أنه إذ يبقى عالقا بأصله، محافظا على عناصر ذاتيته ومكونات شخصيته، يواكب الوجود في الوقت ذاته، ويساهم في المسيرة الإنسانية، ويتمثل من الغير ما ينسجم وتكوينه ليبقى عضوا من مجموعة ومتميزا عنها معا. هذه هي الأصالة كما أتصورها وأفهمها. ومن هذا يتضح كل الاتضاح أنها تتعارض مع الانسلاخ والانزلاق والأحياء والذوبان في الغير، كما تتنافى كل التنافي مع الجمود، والجمود، والهمود، والتقوقع، والانغلاق، والانزواء، التي هي كلها ضد الحياة والحيوية، وتمثل جمعها بداية الشلل، ثم الاندثار، وتتلاقى في النهاية مع الطرف الأقصى للعديد من الأمراض التي ذكرناها آنفا مما يؤدي في النهاية إلى نفس المصير، وهو الموت بالجمود أو بالذوبان. أما عن دعاة هذه وتلك من الاتجاهات، فقد قلنا مرارا وبمختلف المناسبات إن فريقا منهم متطرف يدعونا باسم المحافظة والتقاليد إلى إغلاق الأبواب، بل وحتى النوافذ، حتى لا يدخل إلينا بصيص من النور، ولا نستنشق ذرة من الأوكسجين، فنعمى ونختنق. وفريق آخر يدعونا باسم التفتح، والتقدم

والتطور، والأمية، والعالمية، إلى غير ذلك من الشعارات الجوفاء، ويحاول أن يقنعا لا بفتح النوافذ والأبواب فقط، بل ويحرضنا على نزع السقوف والرفوف أيضا، فنتعرض لمختلف الزوابع والهزات، ونصبح ضحية لعناصر الطبيعية. فنحن، لسنا مع هؤلاء ولا مع أولئك، بل ننادي بالإنية والأصالة، وإن شئتم سميتموها الأصالية التي تتضمن بالضرورة كلا من الجذور والفروع كشجرة أصلها ثابت وفروعها في السماء، تقيها جذورها من الاقتلاع، وتجلب إليها شرايينها من الأعماق عنصر الحياة، كما تضمن لها فروعها مواكبة الطبيعة والاستمرار، أو كحصن حصين تفتح نوافذه لتسرب الضوء والهواء، ولكنه يحتفظ بسقفه للحماية من الضوء والقمر.

هكذا نتصور هذه الإنية والأصالة اللتين تتضمنان بالضرورة التفتح والعالمية¹.

أجرى الحديث : محمد فارح

هذا مولود قاسم نايت بلقاسم من مواقفه وتحدياته وآرائه، تتجلى فيها وطنيته وجهاده خلال مراحل حياته، وتغرس ذكرياته في طريق بناء الجزائر شجرة القدوة الحسنة. فرحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه...

1. وقد ذكرنا غير ما مرة أن الأصالة هي "أن يكون الإنسان ابن عصره مع البقاء على أديم مضيه، ودون أن يصبح نسخة غيره". والدعوة إلى هذه الأصالة، والإيمان بها، والعمل لها، هو الانفصالية، التي هي عكس الانفصالية، التي يدعو لها الكثير من عالم الإسلام اليوم، مع الأسف بمختلف الوسائل.

المراجع

1. إنية وأصالة.
2. أصالية أم انفصالية في جزأين.
3. مآثر فاتح نوفمبر.
4. شخصية الجزائر الدولية وهبتها العالمية في جزأين.
5. مقالات وأحاديث صحفية.
6. المصباح المنير للفيومي.
7. لسان العرب لابن منظور.